

تاريخ القبول: 2025/11/26

تاريخ الارسال: 2025/07/20

آليات الحجاج في خطاب مؤمن آل فرعون - قراءة تداولية -

Mechanisms of Argumentation in the Discourse of the Believer from Pharaoh's Household – A Pragmatic Reading-

كريم كحول^{*1}

¹جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (الجزائر)

Karim.Kahoul@Univ-Emir.dz

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن فاعلية الحجاج في خطاب مؤمن آل فرعون من خلال تحليل مكوناته اللغوية الحجاجية وفق آليات لسانية تداولية. وقد تم التركيز على ست آليات مركزية هي: النفي، والتكرار، والاستفهام، وصيغ المبالغة، والاستعارة، والكناية، لما لها من دور في بناء الخطاب الإقناعي، وتوجيه المتلقي، وإثبات وجهة النظر في سياق التوتر والصراع بين الحق والباطل. وتعتمد الدراسة منهجاً وصفيًا تحليليًا يزاوج بين المعطى اللساني والوظيفة التداولية للآليات الحجاجية ضمن السياق القرآني.

وقد أظهرت النتائج أن النفي كان أداة لتفكيك المقولات السائدة وتفنيد مزاعم الخصوم، بينما أدى الاستفهام دورًا تفاعليًا استنطائيًا يفتح باب التفكير ويهدم التسليم. أما التكرار فكان وسيلة لتثبيت المعنى وتأكيد الحجة، في حين عملت صيغ المبالغة على تكثيف الأثر الوجداني وترسيخ الصورة الذهنية للخصم أو الذات. وجاءت الاستعارة لتضفي على الخطاب طابعًا تصويريًا موحياً، يلامس الشعور والعقل في آن، بينما مثلت الكناية استراتيجية بلاغية ذات بعد حجاجي خفي، استبطن المواقف والمعاني دون تصريح مباشر، مما أكسب الخطاب عمقاً ومرونة في التأثير والإقناع.

الكلمات المفتاحية: الحجاج – مؤمن آل فرعون – سورة غافر – التحليل التداولي – الخطاب القرآني.

Abstract

This paper seeks to examine the argumentative effectiveness of the speech delivered by the Believing Man from among Pharaoh's people through an analysis of its linguistic and pragmatic components, focusing on a set of persuasive mechanisms. The study concentrates on six core argumentative strategies—negation, repetition, interrogation, intensive forms (hyperbole), metaphor, and metonymy—each of which plays a significant role in shaping persuasive discourse, guiding the addressee, and asserting a particular viewpoint within a context characterized by tension and conflict between truth and falsehood. Methodologically, the research adopts a descriptive-analytical approach that integrates linguistic analysis with an examination of the pragmatic functions of these argumentative devices as employed in the Qur'anic discourse.

* المؤلف المرسل: Karim.Kahoul@Univ-Emir.dz

The findings reveal that negation functions as a strategic tool for dismantling prevailing assumptions and refuting the claims advanced by opponents. Interrogative structures serve an interactive and cognitively stimulating role, prompting reflection and challenging uncritical acceptance. Repetition operates to reinforce key meanings and strengthen argumentative emphasis. Hyperbolic forms intensify emotional engagement and consolidate vivid mental representations of both the speaker's stance and the adversary's position. Metaphor contributes an imaginative and evocative dimension to the discourse, activating both emotional and intellectual responses. Finally, metonymy emerges as a subtle rhetorical strategy that conveys meanings and ideological positions indirectly, thereby enhancing the depth, nuance, and flexibility of the persuasive structure of the message.

Keywords : Argumentation - Believer from Pharaoh's Household - Pragmatic Linguistics - Qur'anic Discourse - Surah Ghāfir.

مقدمة:

يشكل الحجاج مكوناً أساسياً في الخطاب القرآني، الذي لا يقتصر دوره على عرض الحقائق فقط، بل يتعداها إلى الإقناع ومحاولة التأثير، واستمالة العقول والقلوب، ودفع المتلقي إلى إعادة النظر في معتقداته وأحكامه التي لا توافق الشرع. وقد اعتنى القرآن الكريم بتقديم نماذج حجاجية راقية، تتسم بالاتزان العقلي، والقوة الحجاجية، والبعد الإنساني، ومن أبرز تلك النماذج: خطاب مؤمن آل فرعون كما ورد في سورة غافر (الآيات 28-45)، والذي يُعد مثلاً فريداً لفن الحجاج في سياق دعوي صعب، حيث يغلب على البيئة الطغيان السياسي والاستبداد العقدي، ويسيطر فيها فرعون وأعداؤه على مفاصل الخطاب الديني والاجتماعي.

إن خصوصية هذا الخطاب لا تكمن فقط في محتواه العقدي، بل في آلياته الإقناعية التي جمع فيها بين الحذر والحكمة، وبين المنطق والعاطفة، وبين التدرج والتنوع في الحجاج. لقد خاطب هذا المؤمن قومه مستعملاً أساليب مقنعة تتراوح بين التحذير الضمني، والاستشهاد التاريخي، والاستفهام الاستنكاري، والخطاب العاطفي الأخلاقي، والأسلوب البلاغي الفذ، مما مكّنه من تبليغ الرسالة دون صدام مباشر، فكان بذلك خطاباً دعوياً متكاملًا يُراعي المقام.

وتتمحور إشكالية هذا المقال في التساؤل الرئيس الآتي: كيف بُني خطاب مؤمن آل فرعون حجاجياً؟ ويندرج تحت هذا السؤال الرئيس تساؤلات فرعية، منها: ما الآليات التي اعتمدت للإقناع وسط مناخ من التوجس والخوف؟ ما الخصائص البنوية لهذا الخطاب؟ وما الوسائل الحجاجية التي تم توظيفها؟ وما أثر السياق السياسي والاجتماعي في تشكيل ملامح الحجاج؟

وتقوم هذه الدراسة على جملة من الفرضيات منها: أن خطاب مؤمن آل فرعون تمّ بناؤه على آليات حجاجية متنوعة تشمل العقلي، العاطفي، والتاريخي، وأن الخطاب استخدم سلاسل حجاجية متدرجة سمحت له بالتأثير دون التصادم، كما أن البنية البلاغية والأسلوبية للخطاب كانت جزءاً أساسياً من المنظومة الحجاجية.

ويسعى هذا البحث إلى تحقيق عدد من الأهداف يمكن إجمالها في محاولة رصد أهم الآليات الحجاجية التي استُخدمت في خطاب مؤمن آل فرعون، وتحليل كيفية بناء الحجة وتدرجها داخل السياق القرآني، وإبراز العلاقة بين الحجاج والبلاغة في القرآن الكريم.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على منهج وصفيّ يصحبه التحليل، حيث يركز على وصف الخطاب وتفكيك بنيته الحجاجية، من خلال تحليل الآليات التي وظّفها مؤمن آل فرعون في بناء حججه. ويقوم التحليل على استثمار أدوات الحجاج المعروفة في الدراسات البلاغية واللسانية المعاصرة، مثل: آليات الربط المنطقي، وتوظيف المقارنة التاريخية، وكذلك العوامل الحجاجية والأساليب البلاغية، كما يُستأنس في التحليل بمفاهيم التداولية، التي تُبرز أثر المقام والسياق التواصلية في توجيه الحجاج وتحديد أسلوب الخطاب ونبرة الحذر فيه.

1. مفهوم الحجاج

الحجاج في اللغة من مادة (ح ج ج)، وهو مصدر للفعل الثلاثي المزيد بحرف (حاجّ)، ومنه الحُجَّةُ، وهي وَجْهُ الظُّفَر عند الخصومة. وجمعها: حُجَجٌ، والحِجَاج المصدر (الفراهيديّ، دت، صفحة 10/3).
 وذهب ابن فارس إلى أنّ الحجاج والحجة أصلهما القصد فقال: " الحَاءُ وَالْجِيمُ أَصُولُ أَرْبَعَةٍ. فَأَلَاوُلُ الْقَصْدُ... وَمُمْكِنٌ أَنْ يَكُونَ الْحُجَّةُ مُشْتَقَّةً مِنْ هَذَا؛ لِأَنَّهَا تُقْصَدُ، أَوْ بِمَا يُقْصَدُ الْحَقُّ الْمَطْلُوبُ " (ابن فارس، 1979م، الصفحات 29/2-30).

وذهب بعضهم إلى أنّ الحجاج هو الجدل والتخاصم، ومن ذلك رجلٌ مُحْجَاجٌ، أي جِدِلٌ (الجوهري، 1987، صفحة 304/1). والحجة أيضا الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ (الفيومي، دت، صفحة 121/1). قال ابن مالك (ابن مالك، الإعلام بمثلث الكلام، 1339هـ ، صفحة 42):

شَجَّةٌ أَوْ تَسْوِيحٌ حَجٌّ حَجَّةٌ وشحمةُ الأذنِ وعامٌ حِجَّةٌ

وافتحٌ أو اكسرٌ ذاكرًا ذا الحِجَّةِ والحِجَّةُ البرهانُ في الخطابِ

يتضح مما سبق أن الحجاج في اللغة مداره على القصد والغلبة في الحجة بتقديم الدليل والبرهان، وقد يصل إلى حد الجدل والتخاصم.

أما اصطلاحاً فقد عرّف بأنه "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم " (صولة، 2011، صفحة 13) .
 وعرفه أيضا العزاوي بقوله " هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب " (العزاوي، اللغة والحجاج، 2006م ، صفحة 16).

ويرى طه عبد الرحمن أن الحجاج هو كل ما ننطق به ونوجهه إلى الغير لإفهامه دعوى معينة يحق له الاعتراض عليها (طه عبد الرحمن، 1998م، صفحة 226).

نلاحظ أن التعريفات السابقة جميعها تشترك في خاصية التأثير والإقناع أو التسليم والوصول إلى نتيجة معينة، وهذا ما يمثل الهدف العام للحجاج، والإقناع لا يتأتى إلا إذا غلب المحاجّ خصمه في الحجة، وبهذا يتوافق التعريف الاصطلاحي مع التعريفات اللغوية.

2. السياق القرآني والظرف التواصل

ورد خطاب مؤمن آل فرعون في سورة غافر، في الآيات من 28 إلى 45، في سياق قصة موسى عليه السلام مع فرعون وملئه، حيث يوضح السياق السابق أنّ فرعون يريد قتل موسى عليه السلام، قال تعالى: " وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ " (غافر 26)، في هذا الظرف العصيب، واللحظة الحاسمة، يتدخل رجل من آل فرعون أي من نسبه فقد قيل إنّه ابن عمه (الماتريدي، 2005، صفحة 24/9)، هذا الرجل مؤمن يكتنم إيمانه خوفاً على نفسه (الطبري، 2000، صفحة 375/12)، حيث قام بمحاكاة فرعون وملئه بشجاعة، لكنه اتخذ خطاباً لطيفاً غير مباشر، ينطلق من داخل الجماعة الحاكمة نفسها، متبنياً خطاب الحكمة والنجاة، لا التحدي والمواجهة الصريحة.

هذا الظرف الخطابي مركّب ودقيقٌ ويجوي سياقات عدة:

- **السياق السياسي** : فرعون يمثل سلطة مطلقة متجبرة لا تقبل المعارضة، مدّعية للربوبية كما جاء في سورة النازعات "فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى" (النازعات 24) ، وقد أعلن صراحة عزمه على قتل موسى. في هذا السياق أيّ اعتراض على هذا القرار يعدّ تهديداً مباشراً للسلطة، ومع ذلك تجرّأ هذا المؤمن على الاعتراض، لكن بحكمة سياسية وحكمة بالغة، مستخدماً منطق العقل، وحجة الكلمة (الخطيب ع.، 1970 م ، صفحة 1227/12)، فاللغة وسيلة للتصويه والتأثير، لا للمواجهة المكشوفة.

- **السياق العقدي**: يتحدث الرجل وسط قوم يقدسون فرعون، ويعادون دعوة التوحيد، فاختار أن يكتنم إيمانه، ويوصل رسالته من داخل البنية الثقافية نفسها، باستعمال أدوات مقبولة في نظرهم كالتحذير من التاريخ بذكر الأقوام الماضية (قوم نوح، وعاد، وثمود) دون التصريح المباشر بانتمائه العقدي وهذا أدعى في قبول كلمته فالرجل لم يكن يريد الإيمان لنفسه وحسب، بل إنه كان يريد أن يكون داعية لفرعون وقومه جميعاً إلى الإيمان بالله، ولو أنه أعلن إيمانه، وجاء إلى فرعون يدعوه إلى أن يؤمن كما آمن هو، لما استمع فرعون إلى كلمة منه، ولأخذته العزة بالإثم (الخطيب، 1970، صفحة 1226/12).

- **السياق النفسي**: يأتي خطابه في لحظة توتر وانفعال، حيث القرار بالقتل وشيك، فكان لا بد للخطاب من أن يكون سريع التأثير، مُقنِعاً، لا يستفز فرعون وملأه، بل يفتح مسارات بديلة للتفكير والترثيث؛ لذا جاءت لغته ناعمة، مشبعة ببناءات القرب (يا قوم) حيث كررها ست مرات "ولا يخفى ما في ندائهم بعنوان أنهم قومه من الاستصغاء لنصحه وترقيق قلوبهم لقوله" (ابن عاشور، 1984، صفحة 132/24).

- **السياق الخطابي الأسلوبي**: اعتمد أساليب مختلفة ليصل إلى الغرض المنشود؛ فاستعمل أسلوب الإدارة، وسلك معهم طريق الإنصاف في القول، وأتاهم من وجهة المناصحة، واستعمل أسلوب الشرط ففرضه صادقا ثم أردفه بقوله "يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ" ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام، فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيًا، وهذا ما يقال أيضا في تقديم الكاذب على الصادق (الرمحشيري، 1407هـ، صفحة 163/4)، كما استعمل أيضا "التقابل

الحجاجي"، حيث قارن بين مآلات الكفر والإيمان، وبين موقف موسى ومواقف الأمم السابقة، مقدّمًا بذلك حججًا مركبة تتراوح بين العقل والمنطق، والعاطفة والتاريخ، بلغة تقترب من المخاطب وتُخفي الموقف الحقيقي للمتكلم دون أن تُضعف من حدة رسالته.

- السياق الاجتماعي: فقد كان هذا الرجل من حاشية فرعون بدليل قوله- تعالى:- "مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ" ولم يكن من بنى إسرائيل (طنطاوي، 1998، صفحة 283/12)، وكونه من "آل فرعون" يعطيه سلطة خطابية داخلية، تختلف عن سلطة موسى الخارجية، مما يمنح كلمته وزنًا داخليًا يصعب رفضه علنًا، ويتيح له هامشًا من المناورة في الإقناع، دون التعرض الفوري للقمع.

يتبين مما مضى أن خطاب مؤمن آل فرعون لم يكن مجرد رد فعل عاطفي، بل كان فعلًا خطابيًا مدروسًا، استثمر فيه المتكلم موقعه الاجتماعي، وسياق اللحظة، وخصائص المخاطب، ليقدم نموذجًا فريدًا في الحجاج القرآني الموزون بين الحذر والبلاغة، وبين التلميح والتصريح.

3. الآليات الحجاجية في خطاب مؤمن آل فرعون

3. 1 حجاجية التكرار (تكرار النداء "يا قوم")

يُعد التكرار أو التكرير من الآليات الحجاجية المهمة في الخطاب القرآني، وقد تنبه القدماء إلى وظيفة التكرار ودورها في التأثير والإقناع، فهذا الزمخشري يشير إلى أن الحديث إذا لم يكرر عودًا عن بدء لم يرسخ في النفس ولم يعمل عمله، واستدل بتكرير رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعًا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم (الزمخشري، 1407هـ، صفحة 124/4).

إنّ التكرار موائم للفترة، وله وظيفة مزدوجة الأداء، فهو يوثق المعنى ويدفع المساهلة في القصد إليه، كما يحمل قيمة صوتية وفنية تزيد القلب له قبولًا والوجدان به تعلّقًا، وهذا بلا شك له عظيم الأثر في ترسيخ المعنى وتثبيت المقاصد في ذهن المتلقي (السيد، 1987، صفحة 85).

وفي خطاب مؤمن آل فرعون، يتكرر النداء "يا قوم" ست مرات في مساحة خطابية قصيرة في الآيات التي تحمل رقم 29، 30، 32، 38، 39، 41، وهذا إن دل على شيء، دلّ على استراتيجية لغوية مدروسة، هدفها مخاطبة القوم بلغة القرب والانتماء واللفظ، دون عداً أو استعلاء، رغم اختلافه معهم في العقيدة والموقف.

-مواضع التكرار وتحليلها:

* الآية 29 "يَا قَوْمُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ" نلاحظ أن هذه الآية افتتحت بهذا النداء الذي يحمل في طياته تنبيهًا لئلا يكونوا أقرب إلى قبول وعظه (القرطبي، 1964، صفحة 310/15)، كما يحمل تمهيدًا لإقناعهم بنقد داخلي هادئ مفاده عدم الاعتزاز بالملك والعظمة فإنهما معرضان للزوال إن غضب الله عليكم (ابن عاشور، 1984، صفحة 132/24).

*الآية 30 " يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ " نلاحظ أن المؤمن أعاد نداء قومه وكرره تأكيداً لما قصده من النداء الأول (ابن عاشور، 1984، صفحة 134/24)، مفعلاً البعد العاطفي التحذيري، ومظهراً الشفقة على قومه والخوف عليهم رغم مخالفته إياهم وهذا أجدى في وقوع كلامه في نفوسهم، وطرق الحجة قلوبهم.

*الآية 32 " وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ " نلاحظ أن المؤمن صعد في الخطاب الحجاجي فقد أُنذَرهم أولاً بزوال ملكهم وحذرهم ثانياً بما حصل للأقوام من قبلهم وهذه أمور دنيوية، ليرتقي إلى التحذير من العذاب يوم القيامة وهذا أمر أخروي (أبوالسعود، دت، صفحة 275/7)، وافتتحه بتكرار نداء قومه ليظهر في ثوب الناصح المريد خلاصهم من كل نداء مفرع يوم القيامة (ابن عاشور، 1984، صفحة 136/24) ولا شك أن كلام الناصح الأمين أوقع في القلب من غيره مما يشعرهم بالخطر الوشيك..

*الآية 38 " يَا قَوْمِ أَنْبِئُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ " تكرر النداء هنا قبل الأمر التوجيهي الإرشادي المباشر يسهم في التقليل من الشعور بالتهديد والمواجهة، وهذا بدوره يسهم في تنفيذ ذلك الأمر وقبوله.

*الآية 39 " يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ " كرر النداء في هذه الآية للفت الانتباه واستصغاء السمع وتهيئة النفوس إيداناً بتقديم حجة عقلية وجودية عن طبيعة الحياة الدنيا والحياة الآخرة. ويرى ابن عاشور أنه أعاد النداء ليؤكد إقبالهم لما بدت إرهاباته، فأكمل مقدمته بتفصيل ما أجمله وذكرهم بأن الحياة الدنيا قصيرة محدودة، وأن وراءها حياة أبدية، لأنه علم أن أشد دفاعهم عن دينهم منبعث عن محبة السلطة ورفاهة العيش، وذلك من متاع الدنيا الزائل وأن الخير لهم هو العمل للسعادة الأبدية (ابن عاشور، 1984، صفحة 149/24).

*الآية 41 " وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ " تكرر النداء هنا فيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة، وفيه أيضاً ملاطفة لقومه وعشيرته؛ لأنهم وقعوا فيما يهلكهم، وهو يعلم وجه خلاصهم، ونصيحتهم عليه واجبة، فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم، ويستدعي بذلك أن لا يتهموه، فإن سرورهم سروره، وغمهم غمه (الزمخشري، 1407هـ، الصفحات 168/4-169)، فإذا علموا حرصه عليهم وحزنه لحالهم وقع ذلك في قلوبهم موقعا حسنا؛ فيكون استفهامه التعجبي بعد النداء حجة بالغة عليهم.

يتضح مما سبق أنّ لهذا التكرار وظائف حجاجية يمكن أن نجملها فيما يأتي:

-الاستمالة: حيث يكرّر النداء ليؤسس علاقة وجدانية عاطفية بينه وبين قومه المخاطبين، ويوحي بالحرص عليهم لا التحدي لهم.

-التدرّج: كل نداء مكرر يهيئ لطبقة جديدة من الحجة (سياسية، تاريخية، أخروية، عقلية...).

-المداواة والتلطيف: فهو عندما يكرر نداء قومه يقدم نفسه في ثوب الناصح الأمين الحريص على هدايتهم لا كخصم لهم يعاندونهم ويتحدّاهم.

-البنية الإيقاعية: حيث تكون للتكرار قيمة صوتية، تُسهم في تثبيت الخطاب في الذهن وخلق ترابط بين وحداته.

وإذا أردنا جمع هذه الوظائف الحجاجية في شيء واحد وغرض أوحدها، فهي تجتمع في محاولة التأثير في المخاطب وإقناعه بما يليق إليه من الكلام.

3. 2 حجاجية الاستفهام

الاستفهام في حقيقته هو " استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن " (الشريف الجرجاني، 1983، صفحة 18)، وقد يخرج الاستفهام عن حقيقته إلى معان كثيرة كالتسوية والإنكار والتوبيخ والتقرير وغيرها (ابن هشام، 1985، صفحة 24 وما بعدها).

إنّ الاستفهام حقيقياً كان أم مجازياً هو من الأساليب الإنشائية الطلبية، ولا شك أنه يحمل في طياته شحنة حجاجية؛ ذلك أن النظرية الحجاجية تهتم بكل الوسائل اللغوية -والاستفهام من بينها- التي يتوفر عليها المتكلم بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية بل إنها تنطلق من فكرة شائعة مفادها أننا نتكلم عموماً من أجل التأثير (العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، 2006م، صفحة 55).

ويُعد الاستفهام من أبرز الآليات الحجاجية التي وظفها مؤمن آل فرعون في خطابه، حيث ورد ثلاث مرات، وقد تعددت أغراضه البلاغية بين الإنكار، والنفي، والتعجب، وهو ما يمنح الخطاب ثراءً تداولياً وتأثيراً نفسياً وأخلاقياً بالغاً، وتأتي هذه الاستفهامات في سياق حاسم، حيث يواجه المؤمن سلطة فرعون المتغطرسة المدعومة بمملكته بأسلوب عقلائي غير مباشر، مخاطباً الضمير الجمعي لقومه بالمنطق والموعظة واللغة الحكيمة.

المثال الأول: ورد الاستفهام في قوله " وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ " (غافر، 28). هذا الاستفهام استفهام إنكاري (ابن الجوزي، 1422هـ، صفحة 35/4)، وَقَدْ ذَكَرَ فِي هَذَا الْكَلَامِ مَا يَدُلُّ عَلَى حَسَنِ ذَلِكَ الْإِسْتِنكَارِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَا زَادَ عَلَى أَنْ قَالَ: رَبِّيَ اللَّهُ وَجَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ، وَذَلِكَ لَا يُوجِبُ الْقَتْلَ الْبَتَّةَ (الرازي، 1420 هـ، صفحة 509/27).

ومعنى الاستفهام الإنكاري هنا أن الرجل لا ينتظر جواباً من قومه، بل يعبر عن رفض هذا السلوك وإنكاره، ويستدرج فيه السامعين للتفكير في فظاعة الفعل وبشاعته؛ إذ لا يعقل أن يقتل رجل لأجل أن يقول ربي الله مع مجيئه بما يثبت ذلك. هذا الاستفهام يحمل في داخله حجة أخلاقية مضمرة تشكك الجمع في شرعية قرار القتل وتجعلهم يرجعون عقولهم وضمائرهم، مما يضعف موقف فرعون من موسى عليه السلام.

المثال الثاني: ورد الاستفهام في قوله: " فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا " (غافر، 29)، وهو استفهام إنكاري كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين (الألوسي، 1415هـ، صفحة 318/12) (ابن عاشور، 1984، صفحة 132/24) والذي نراه أن هذا الاستفهام استفهام غرضه النفي والمعنى: لا ينصرنا أحدٌ من بأسِ الله إن جاءنا، وهذا الذي قدره أبو حيان وإن لم يشر إلى نوع الاستفهام (أبو حيان الأندلسي، 1420هـ، صفحة 254/9).

والذي يظهر أن الرجل أراد التأثير على المخاطبين وإقناعهم بخطورة ما هم عليه، فاستعمل حجة ذات بعد إيماني فطري، حيث حاول إشعارهم أن بأس الله إذا جاء فلا أحد ناصر منه ولا مجير عليه، وأنهم إزاءه في أشد الضعف (قطب، 1412هـ، صفحة 3080/5).

المثال الثالث: ورد الاستفهام في قوله: " وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ " (غافر، 41)، وهو استفهام تعجبي (أبو حيان الأندلسي، 1420هـ، صفحة 260/9). والمعنى أنه يتعجب من دعوتهم إياه لدينهم الباطل مع ما رأوا من حرصه على نصحتهم ودعوتهم إلى النجاة، ناهيك عما أتاهم به من الدلائل الواضحات على صحة دعوته وبطلان دعوتهم (ابن عاشور، 1984، الصفحات 152/24-153)، حيث أراد الرجل المؤمن أن يبين المفارقة العجيبة بين دعوتين، دعوته إياهم إلى النجاة، ودعوتهم إياه إلى ما يدخله النار، وشتان بين الدعوتين! هذه المفارقة المستفادة من الاستفهام تقلب موازين الخطاب وتجعل الحجة بيد الرجل، وتنحي باللائمة على فرعون وملئه، رغم أنهم أصحاب السلطة، وتجعلهم في موقف ضعف.

بناء على ماسبق يمكن أن نلخص الوظائف الحجاجية العامة للاستفهام في هذا الخطاب فيما يأتي:

-إعادة توجيه زاوية النظر عند المتلقي: فالاستفهام لا يُملي نتيجة مباشرة، بل يدفع المتلقي لإعادة التفكير، والتسليم المرة بعد الأخرى، والتنازل عن معتقداته السابقة شيئاً فشيئاً (الشهري، 2004م، صفحة 485)، فقلوه: أتقتلون...؟ كأنه قال: فكروا وتدبروا فيما قررتم وذهبتم إليه والنتيجة هي التسليم والتخلي عن قتله.

-إبراز التناقضات: فالاستفهام التعجبي يبرز التناقض بين النية والنتيجة، فنية الرجل النصيح والإرشاد والنتيجة دعوتهم للكفر والإشراك بالله.

-تلطيف الحجة: فالاستفهام أقل صداماً من التصريح المباشر خاصة إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم (الشهري، 2004م، صفحة 484)، وهو ما يناسب بعض البيئات مثل بيئة القمع التي يتحدث فيها المؤمن.

3.3 حجاجية النفي

أسلوب النفي من الأساليب التي عني بها علماء النحو والبلاغة والمنطق، وهو -كما عرفه الشريف الجرجاني- "الإخبار عن ترك الفعل" (الشريف الجرجاني، 1983، صفحة 245)، ومعنى هذا أنه من الأساليب الخبرية التي تحتل الصدق أو الكذب، وأنه مقابل للإثبات أو الإيجاب فهو على حسبه كما قال ابن يعيش: "اعلم أن النفي إنما يكون على حسب الإيجاب؛ لأنه إكذاب له، فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما، إلا أن أحدهما نفي، والآخر إيجاب" (ابن يعيش، 2001م، صفحة 31/5).

ولما كان النفي فيه معنى الإبطال أو الإكذاب -كما عبر ابن يعيش- كان من أقوى أدوات الحجاج اللغوية، إذ يُستخدم لنقض الدعاوى، ودحض الحجج المقابلة، وتأسيس الحقائق بالسلب، فالتكلم يحقق وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في

إذعان المستقبل وتسليمه عبر توجيه الملفوظ إلى النتيجة مباشرة، فهو لا يترك للمخاطب موضعاً للتأويل، بل يغلق أمامه باب الإيهام والاحتمال، مما يعزز الوظيفة الإقناعية للخطاب (الناجح، 2011م، صفحة 47).

وقد تنوعت صيغ النفي في خطاب مؤمن آل فرعون بين النفي بلا، وما وليس؛ لتؤدي وظائف متعددة نوضح بعضها في المواضع الآتية:

الموضع الأول: جاء في قوله: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ " (غافر، 28)، فنفي هداية الله لمن هو مسرف كذاب تنقلنا مباشرة إلى النتيجة التي يريد الرجل المؤمن إقناع الحاضرين بها، وهي صدق موسى عليه السلام في دعوته وبالمقابل من ذلك كذب فرعون في ادعائه، ففي الآية إرشاد لهم عن طريق خفي إلى صدق موسى عليه السلام فيما يبلغه عن ربه، وتعرض بما عليه فرعون من الظلم والكذب (طنطاوي، 1998، صفحة 12/286).

الموضع الثاني: جاء في قوله: " وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ " (غافر، 31)، فنفي الإرادة الإلهية للظلم يقودنا مباشرة إلى نفي الظلم من باب أولى، كما نلمح فيه مُبَالَغَةً فِي نَفْيِ الظُّلْمِ (أبو حيان الأندلسي، 1420هـ، صفحة 9/255) (البقاعي، دت، صفحة 17/60)، وهذا يؤسس لقاعدة عظيمة وهي العدالة الإلهية، ومتى ما تأسست في الأذهان هذه القاعدة واقتنعوا بها، ثبت لديهم أن هلاك الأقوام المذكورين إنما كان بسبب ذنوبهم وتكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره (ابن كثير، 1999م، صفحة 7/143)، وسهل عليهم الإيمان بالله العدل الذي لا يظلم أحداً .

الموضع الثالث: جاء في قوله: " يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ " (غافر، 33) في هذه الآية الكريمة نجد نفي أمرين: نفي العاصم من الله، ونفي الهادي لمن أضله الله، هذا النفي يقطع الطريق أما أي احتمال للعصمة من الله في ذلك اليوم العصيب الذي سماه يوم التنادي، أو وجود هادٍ يهدي من أضله الله، هذا النفي يحقق نتيجتين في آن واحد: الأولى التحذير من الوبال الذي سيصيبهم إن هم استمروا في عنادهم وتعتنهم، فإثارة الخوف والقلق في نفوسهم، والأخرى دفعهم إلى إعادة النظر والتفكير العقلي والعاطفي في اعتقادهم وكفرهم.

3. 4 حجاجية صيغ المبالغة

صيغ المبالغة هي صيغ يؤتى بها إذا أرادوا أن يبالغوا اسم الفاعل (سيبويه، 1988م، صفحة 1/110)، وهذه الصيغ خمسة جمعها ابن مالك فقال (ابن مالك، ألفية ابن مالك (الخلاصة)، دت، صفحة 122):

فَعَالٌ أَوْ مِفْعَالٌ أَوْ فَعُولٌ فِي كَثَرَةٍ عَنِ فَاعِلٍ بَدِيلٌ

فَيَسْتَحِقُّ مَالَهُ مِنْ عَمَلٍ وَفِي فَعِيلٍ قَلٌّ ذَا وَفَعِلٍ

ولما كانت صيغ المبالغة تكثر المعنى وتعظم الوصف، فلا شك في أنها من بين الآليات اللغوية الحجاجية ذات التأثير البالغ في الخطاب؛ لأن العدول عن اسم الفاعل إليها يؤدي إلى تعزيز التأثير الوجداني والعقلي على المتلقي.

وقد جاءت في خطاب مؤمن آل فرعون أربع صيغ مبالغة بارزة، وظفها الخطاب في سياقات حجاجية دقيقة، وهي كذاب، وجبار، وغفار، وبصير.

فأما كَذَابُ فوردي في قوله: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ " (غافر، 28)، "كَذَابُ" بصيغة "فَعَالٍ"، تدل على كثرة الكذب واحترافه، لا مجرد الوقوع فيه، فكأنه شخص حرفته الكذب وهو مداوم على هذه الصنعة كثير المعاناة لها مستمر على ذلك لم ينقطع (السامرائي، 2007م، صفحة 96).

فصيغة المبالغة هنا تؤدي وظيفة حجاجية وهي إقناع الحضور ببراءة موسى عليه السلام وتشكيكهم في كذب فرعون؛ إذ المعنى: لو كان موسى كاذبا فإن الله لا يهديه ولا يوفقه، فدعوه له يلاقي منه جزاءه. واحذروا أن تكونوا أنتم الذين تكذبون على موسى ورثه وتسرفون، فيصيبكم هذا المآل! (قطب، 1412هـ، صفحة 3079/5)

وأما جَبَّارُ فوردي في قوله: " كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ " (غافر، 35)، فجَبَّارُ صيغة مبالغة من الجبر، وهو الإكراه، فالجبار: الذي يكره الناس على ما لا يحبون عمله لظلمه (ابن عاشور، 1984، صفحة 145/24).

نلاحظ أن صيغة المبالغة هنا قد وردت في سياق بيان سببين من أسباب الحرمان من الهداية، وهما التكبر والجبروت، وبهذا تتحقق وظيفة حجاجية مفادها التحذير غير المباشر من مغبة التعالي والبطش، لأن الطبع على القلب نتيجة حتمية لهذه الصفات، وفي هذا تعريض وإسقاط ضمني على فرعون، بصفته من أكبر المتعاليين الذي يرهبون الناس بحجروتهم. الصيغة الثالثة وهي غَفَّارُ وردت في قوله: " تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ " (غافر، 42)، فغَفَّرُ صيغة مبالغة على وزن فَعَّالٍ وتفيد كثرة المغفرة وسعتها وتكرارها، حيث جاءت في سياق دعوي، هذا السياق جعله يعدل عن غافر إلى غَفَّارٍ لإدماج ترغيبهم في الإقلاع والابتعاد عن الشرك بأن الموحد بالإلهية يغفر لهم ما مضى من الكفر والشرك به حتى لا يقنطوا من مغفرته وعفوه بعد إساءتهم إليه (ابن عاشور، 1984، صفحة 154/24).

أما الوظيفة الحجاجية التي تؤديها هذه الصيغة فتتمثل في ترغيب المخاطبين في التوبة، وتوسيع أفق الرجاء، ناهيك عن إبراز رحمة الله، وهذه بدوره حجة ثانية لإقناع المتلقي بقبول الدعوة الإيمانية دون شعور بالإدانة أو الهزيمة. الصيغة الأخيرة بصير جاءت في قوله: " فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ " (غافر، 44)، وبصير على وزن فَعِيلٍ ومعناه المطلع الذي لا يخفى عليه أمر (ابن عاشور، 1984، صفحة 157/24)، ووردت وردت في ختام الخطاب عقب تفويض الأمر إلى الله لتؤدي وظيفة حجاجية مفادها: تعزيز ثقة المتكلم بالله، وثبتت النفس على الموقف الإيماني، وتذكير الخصوم برقابة الله، مما يولد رهبة داخلية ويدفعهم إلى التفكير في العواقب. يمكن أن نلخص حجاجية صيغ المبالغة الواردة في خطاب مؤمن آل فرعون في الجدول الآتي:

جدول 1: تلخيص حجاجية صيغ المبالغة

صيغة المبالغة	الدلالة	الوظيفة الحجاجية
كَذَابُ	كثرة الكذب واحترافه	إقناع الحضور ببراءة موسى عليه السلام وتشكيكهم في كذب فرعون

جَبَّار	الذي يكره الناس على ما لا يحبون عمله لظلمه	التحذير غير المباشر من مغبة التعالي والبطش
غَفَّار	كثير المغفرة واسعها	ترغيب المخاطبين في التوبة، وتوسيع أفق الرجاء
بصير	المطلع الذي لا يخفى عليه أمر	تعزيز ثقة المتكلم بالله، وتثبيت النفس على الموقف الإيماني

3. 5 حجاجية الاستعارة

الاستعارة في التراث البلاغي هي من المجاز اللغوي المبني على التشبيه، حيث عرفها الجرجاني بقوله: " فَلَا سِتْعَارَةُ: أَنْ تُرِيدَ تَشْبِيهَ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ، فَتَدْعَ أَنْ تُفْصَحَ بِالتَّشْبِيهِ وَتُظْهِرَهُ، وَتَجِيءَ إِلَى اسْمِ الْمَشَبَّهِ بِهِ فَتُغَيِّرَهُ الْمَشَبَّهَ وَتُجَرِّيهِ عَلَيْهِ " (الجرجاني، 1992م، صفحة 67).

وتُعد الاستعارة من أبرز الآليات البلاغية التي تؤدي وظيفة حجاجية إقناعية ضمن سياق رمزي مجازي، حيث يُستعار غالبا لفظ مادي أو حسيّ لتصوير معنى معنوي مجرد، ما يمنح الخطاب كثافة وقوة دلالية وتأثيراً نفسياً أعمق (المودن، 2014، صفحة 249).

وفي خطاب مؤمن آل فرعون، نجد أن الاستعارة كانت حاضرة في قوله: " كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ " حيث استعار الطبع للقلب، والطبع هو الختم ، ومعناه تغطية الشيء، والاستيثاق من الغطاء حتى لا يدخله شيء من خارجه، ويكون المعنى أن الله تعالى شبه ابتعادهم عن الهداية، والحيلولة بين قلوبهم ووصول الحق إليها، بسبب ما تواردت عليه من أسباب الشك والارتباك وإظلام القلوب، وعدم قبولها لنور الهداية - شبهه بحال ما ختم عليه بختم استيثاقا من ألا يفتح ويدخل عليه شيء من الإيمان، وكان على القلب، فلا يكون معها مكان لهداية (أبو زهرة، دت، صفحة 118/1).

هذه الاستعارة تُسهم في إدانة الخصم ضمن حجة غيبية إيمانية، مفادها أن الاستكبار والجبروت يؤدي إلى الطبع على القلب، وهو خسران دائم، وقد حققت وظيفتها الحجاجية الإقناعية من خلال ادعاء الختم للقلب، وحققت الإمتاع من خلال التصوير، وهذا شأن الاستعارة، فكلما كانت متعالية عن الحقيقة إلى المجاز، نزاعة إلى المبالغة من التوسط كانت أقرب إلى الحاجة، غنية بأدوات الإقناع، وأسهم في الإفحام، وأشد في الإمتاع (بوجادي، 2013، صفحة 174).

3. 6 حجاجية الكناية

تُعد الكناية من الأساليب البلاغية الدقيقة التي تُمكن المتكلم من التعبير عن المعاني القوية والحساسة بصورة غير مباشرة، فتوصل الرسالة دون أن تُحدث صداماً صريحاً، وفي هذا يقول الجرجاني: " والمراد بالكناية ههنا أن يُريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيؤمى به إليه، ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: " هو طويل النجاد "، يريدون طویل القامة " (الجرجاني، 1992م، صفحة 66).

فالكناية حسب الجرجاني بها معنيان معنى ظاهر غير مقصود ومعنى يفهم من لازم ما ذكر ويكون هو المقصود، وقد لخص هذا بعبارة دقيقة في موضع آخر من الكتاب فقال: "فها هنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: "المعنى"، و "معنى المعنى"، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة و"بمعنى المعنى"، أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يُفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر" (الجرجاني، 1992م، صفحة 263)، وبهذا تلعب الكناية دورا كبيرا في الإقناع بفكرة ما أو رأي من منطلق إشراف المتلقي في الكشف عن المعنى الثاني الخفي الذي يفضي بك إليه تأمل اللفظ الظاهر (السعدي، 2023، صفحة 486)

إن هذه الخاصية بالذات الموجودة في الكناية تلائم السياق الذي ورد فيه خطاب مؤمن آل فرعون، فهو يوجه كلامه داخل مجلس فرعون ذي السلطة والقمع، فافتضى الموقف التحفظ والذكاء البلاغي والاستتار وراء التلميح الذي تولده الكناية.

وقد وردت الكناية في هذا الخطاب بأربعة مواضع أساسية، كل واحد منها يخدم وظيفة حجاجية مركبة: من التأثير العاطفي، إلى تقوية الحجة، إلى تجنب المتكلم خطر المواجهة المباشرة.

الموضع الأول: جاء في قوله: " يَأْقُومُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا" (غافر، 29)، ففي قوله (لكم الملك ظاهرين في الأرض) كناية عن صفة العظمة والقوة والسيطرة، فاستعمل الكناية حجة لإقناعهم بأن هذه القوة وتلك العظمة معرضة للزوال إن غضب الله عليكم (ابن عاشور، 1984، صفحة 132/24)، وفي الوقت ذاته مهد للسؤال الخطير (من ينصروننا من بأس الله إن جاءنا؟).

الموضع الثاني: جاء في قوله: " الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا" (غافر، 35)، فقوله (مقتا) وهو شدة البغض كناية عن صفة شدة العقاب على ذلك من الله (ابن عاشور، 1984، صفحة 143/24)، فالذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان لا شك أنهم مبغضون عند الله وعند المؤمنين وهذا الوجه الظاهر القريب المفهوم من الكناية، ولكن المعنى الثاني البعيد المقصود المفهوم من لازم المعنى الأول، هو شدة عقابهم على ما اقترفوا من الجدل في آيات الله، ولا شك أن هذا أشد تأثيرا من التصريح المباشر بالعقوبة.

الموضع الثالث: جاء في قوله تعالى: " وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ" (غافر، 32)، فيوم التنادي كناية عن يوم القيامة، ونلاحظ أنه كنى عنه بيوم التنادي؛ لأنَّ الْمَعْنَى: يَوْمٌ يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، أَوْ يُنَادِي أَهْلُ النَّارِ أَهْلَ الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ، أَوْ يُنَادَى فِيهِ بِسَعَادَةِ السُّعَدَاءِ، وَشَقَاوَةِ الْأَشْقِيَاءِ، أَوْ يَوْمٌ يُنَادَى فِيهِ كُلُّ أَنْاسٍ بِإِمَامِهِمْ (الشوكاني، 1414هـ، صفحة 563/4)، و تسميته «يَوْمَ التَّنَادِ» أيضا تلقي عليه ظل التصايح وتناوح الأصوات من هنا ومن هناك، وتصور يوم زحام وخصام (قطب، 1412هـ، صفحة 3080/5).

فلاستعمال الكنائى هنا يُقيي المعنى مفتوحًا على كل تلك النداءات المختلفة، والصور الفظيعة، ويُحيلهم إلى مشهد تضج فيه الأصوات ويغيب فيه الأمان، وينقطع فيه الرجاء، وهذا أبلغ في التأثير وأشد في الإقناع وأوقع في الترهيب.

الموضع الرابع: جاء في قوله: " فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ " (غافر، 40)، فقوله (بغير حساب) كناية على سعة الرزق ووفرته (ابن عاشور، 1984، صفحة 151/24)، فهي من أبلغ كنايات النعيم الأخروي، فهي لا تحدد قدرًا ولا سقفًا، بل تُطلق الوعد إطلاقًا يدل على الكثرة والدوام والكرم المطلق. إن هذه الكناية تحمل ترغيبًا حجاجيًا ظاهرًا، فإذا كانت الذي يعمل السيئة يجازى عليها بمثلها فقط فإن من يعمل الحسنة يجازى بما لا يُحَدِّد، وهذا تأكيد لحكمة الله وعدله وفضله، وهي وسيلة لإقناع السامع بأن الإيمان لا يمنح فقط النجاة، بل الفوز الكامل، وبهذا تُغلق الحجة أمام الخصم.

4. خاتمة:

سعى هذا البحث إلى تحليل الخطاب الحجاجي الذي ورد على لسان مؤمن آل فرعون في سورة غافر (الآيات 28-45)، بوصفه نموذجًا قرآنياً ربيعاً لفنّ الإقناع في بيئة تتسم بالقمع والاستبداد، وقد ركزت الدراسة على تتبع أبرز الآليات الحجاجية الموظفة في هذا الخطاب، والكشف عن وظيفتها التداولية في تحقيق التأثير والإقناع، من خلال مزج دقيق بين المنطق والعاطفة، والحذر والتدرج، والبلاغة والواقعية السياسية. واعتمد التحليل على رصد ستّ آليات حجاجية بارزة، هي: النفي، والتكرار، والاستفهام، وصيغ المبالغة، والاستعارة، والكناية، وذلك في ضوء المناهج اللسانية الحديثة، وخاصة المنهج التداولي الذي يُعنى بعلاقة الخطاب بالسياق المقامي. وقد بيّنت الدراسة كيف أسهمت هذه الآليات مجتمعة في بناء حجاج متماسك وفعال، مراعي للظروف النفسية والسياسية التي تحيط بالخطاب، فتوصلت إلى النتائج الآتية:

- تنوع الآليات الحجاجية في الخطاب يعكس وعياً بلاغياً وحنكة لغوية في عرض الحجة وتوجيهها، بما يتلاءم مع طبيعة المقام، وسلطة الخصم، وسياق التهديد.
- اعتمد الخطاب على آلية التكرار، خاصة في تكرار النداء "يا قوم" ست مرات، مما عزز العلاقة بين المرسل والمخاطبين، وأضفى على الدعوة طابعاً لطيفاً أقرب إلى النصح الأخوي، مما قلل من حدة الصدام.
- استُخدم الاستفهام بوظائف متعددة: الاستفهام الإنكاري لتوبيخ الخصم، والاستفهام التعجبي لإظهار غرابة موقفهم، واستفهام النفي لإثارة التفكير المنطقي في العواقب.
- وظف الخطاب أسلوب النفي لنقض الدعاوى الباطلة، والتأكيد على عدل الله، وغياب الحماية عن المكذبين، وزيف ما يدعون إليه، وهو ما مثّل حجة دفاعية وهجومية في الوقت نفسه.
- لعبت صيغ المبالغة دوراً حاسماً في تحقيق الأغراض والوظائف الحجاجية بما تحمله من دلالات ومعانٍ مكثفة.
- كشف تحليل الاستعارة والكناية عن ثراء هذا الخطاب بلاغياً، حيث استُخدمت الصور البيانية لتكثيف المعاني، والتأثير في المتلقي وإقناعه.

- أظهرت التحليلات أن هذه الآليات تتكامل وتتضافر ضمن نسق تداولي محكم، يستثمر البنية اللغوية والبلاغية والوظائف التداولية في آن واحد، من أجل بناء خطاب إقناعي غير صدامي، يُخرج الخصم دون مواجهته مباشرة.

5. قائمة المراجع:

- إبراهيم بن عمر البقاعي. (دت). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف ابن هشام. (1985). مغني اللبيب عن كتب الأعراب. دمشق: دار الفكر.
- أبو أبوالسعود. (دت). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- أبو الفداء إسماعيل ابن كثير. (1999م). تفسير القرآن العظيم. السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- أبو القاسم محمود الزمخشري. (1407هـ). الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. بيروت: دار الكتاب العربي.
- أبو بكر العزاوي. (2006م). الحجاج والمعنى الحاجي. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، 55-79.
- أبو بكر العزاوي. (2006م). اللغة والحجاج. بيروت-لبنان: مؤسسة الرحاب الحديثة.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي. (1964). الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية.
- أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي. (1420 هـ). مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- أحمد بن فارس ابن فارس. (1979م). مقاييس اللغة. بيروت: دار الفكر.
- أحمد بن محمد الفيومي. (دت). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. بيروت: المكتبة العلمية.
- إسماعيل بن حماد الجوهري. (1987). تاج اللغة وصحاح العربية. بيروت: دار العلم للملايين.
- الخطيب. (1970). التفسير القرآني للقرآن. القاهرة: دار الفكر العربي.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي. (دت). كتاب العين. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- الطبري. (2000). جامع البيان في تأويل القرآن. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الماتريدي. (2005). تأويلات أهل السنة. بيروت: دار الكتب العلمية.
- حسن المودن. (2014). بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب. عمان: كنوز المعرفة.
- خليفة بوجادي. (2013). تداولية الاستعارة من خلال أسرار البلاغة. علوم اللغة العربية ، 165-179.
- سعيد السعدي. (2023). حجاجية المبالغة في قصيدة "عجبت عبيلة" لعنترة بن شداد. مجلة المعرفة ، 479-497.
- سيد قطب. (1412هـ). في ظلال القرآن. القاهرة: دار الشروق.
- طه عبد الرحمن. (1998م). في أصول الحوار وتحديد علم الكلام. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

- عبد الرحمن أبو الفرج ابن الجوزي. (1422هـ). زاد المسير في علم التفسير. بيروت: دار الكتاب العربي.
- عبد القاهر الجرجاني. (1992م). دلائل الإعجاز. القاهرة: مطبعة المدني .
- عبد الكريم يونس الخطيب. (1970م). التفسير القرآني للقرآن. القاهرة: دار الفكر العربي.
- عبد الله صولة. (2011). في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات. تونس: مسكيلياني للنشر.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري. (2004م). استراتيجيات الخطاب. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- عز الدين الناجح. (2011م). العوامل الحجاجية في اللغة العربية. صفاقس: مكتبة علاء الدين.
- عز الدين علي السيد. (1987). التكرير بين المثير والتأثير. بيروت: عالم الكتب.
- علي بن محمد، الشريف الشريف الجرجاني. (1983). التعريفات. بيروت: دار الكتب العلمية.
- عمرو بن عثمان سيويه. (1988م). الكتاب. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- فاضل السامرائي. (2007م). معاني الأبنية في العربية. الأردن: دار عمار.
- محمد الطاهر ابن عاشور. (1984). تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. تونس: الدار التونسية للنشر.
- محمد بن أحمد أبو زهرة. (دت). زهرة التفاسير. بيروت: دار الفكر العربي.
- محمد بن علي الشوكاني. (1414هـ). فتح القدير. دمشق: دار ابن كثير.
- محمد بن محمد ابن مالك. (1339هـ). الإعلام بمثلث الكلام. مصر: مطبعة الجمالية.
- محمد بن محمد ابن مالك. (دت). ألفية ابن مالك (الخلاصة). الرياض: مكتبة دار المنهاج.
- محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي. (1420هـ). البحر المحيط في التفسير. بيروت: دار الفكر.
- محمد سيد طنطاوي. (1998). التفسير الوسيط للقرآن الكريم. القاهرة: دار نهضة مصر.
- محمود الألوسي. (1415هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت: دار الكتب العلمية.
- يعيش بن علي بن يعيش ابن يعيش. (2001م). شرح المفصل للزمخشري. بيروت: دار الكتب العلمية.